

أولون في النار.. أولون في الرماد

أمجد محمد سعيد*

في البدء كان الصمت
 عباءة (الما قبل)
 كانت الرؤى عرائس الوهم التي تسبح
 فوق حلمها الطافي
 على سجادة الماء.
 وكان البيت
 عريشة من ورق الدمى
 وحزمة من القصب.
 يبينه طمي راکض
 من شهقة النبع
 إلى مقبر المصب.
 تحمله موجة مجنونة
 والريح تأتي من خفايا ظلمة الجهات.

* شاعر من العراق.

كان الموت
سيد كل سيّد
هو اللهيب والرمادُ
النبضُ السائر في أوردة الأجساد
وانطفاءة الأنفاس.

في البدء كان الناسُ
أجنحة من سندسٍ فوق بروق الوقت،
كتابة خجولة فوق سواحل اللغاتِ
مهرجان من هواجس الظلام
والرياح
والأمواج.

في البدء كانَ التاجُ
من فضة الدمع
ومن بكاء العاج.

ظلّ النداءُ الذي يؤويه بكراً
وظلّت وردة النار عذراء تحاول مسك الريح
والكلمات خيلُ بريّة...
وهو الدهولُ

يأتي على وعد خراب العصور
وانتجار السنين فوق نطع الخطايا
وهو الرحلة
الأفول.

هذا هو الطين
يحمل الذي سنقولُ

بصوته، يرسم الضفاف
يمتد به الأمد.

قيل: مجنون
وقيل: كاهن

وقيل: شاعر

لم يؤمن به أحدُ .
غير عابئٍ مضى في تخوم النشيدِ .
فاتحاً ذراعيه لهواء البحر البعيدِ
تاركاً كل الحرائق لكل الحرائق .
تُمحى الدروب
ويُصطفى بلد
في كل يوم له من جرحه سندُ .
...
العربةُ ...

وحدها تتحدر من الأقصي إلى الأقصي
والرياح الثلجية تتحت هياكل القيامة
الأحصنة الأربعة طارت إلى الجهات
تنزف دماً وعرقاً
وتمنح حليباً وعسلاً .

العربةُ ...

المصنوعة من جوز الجبال
ومن قصب الأهوار
ومن سعف النخيل ...
وحدها تمرّ
مثقلة بسبعة آلاف سنة
من الدم والغرين
والقتلى والأبطال .
كل حوذي يرسم دورهُ
ويضبط ساعته على قدر مسافته .

العربةُ ..

تمشي إلى قدرها المكتوب على جدران المعابد العتيقة، وفوق عظام الموتى، وفوق
جلود الأسماك الجافة، وعلى خرزات الأولياء ودموع الأنبياء .

بالإثم ابتدأت
وبالإثم انتهت
وبالإثم تعود.

وأنتم أيها الكهنة والحوذيون والفرسان...
اركضوا إلى المقاصير العالية
املأوا جيوبكم بالزبيب والتين
اغرقوا في نبيذ الرمان وجعة الشعير
واشبعوا من لحوم الغزلان.

أصلي..
وأغضو على طرقات المدينة
بين حرائقها ورصاص العيون الغربية
أغضو على شطها
وبقايا من العشب لما تنزل
بانتظار الينابيع.

لا أبرئُ أحداً..
سبحان من أعطى
سبحان من أخذ
سبحان من أدنى
سبحان من نيدً
سبحان من أوصى
سبحان من وصم
سبحان من أغوى
سبحان من حكم.

أَتَهَمُ الحِكمةَ بالخطيئة
أَتَهَمُ الشَّعبَ بالجوع
أَتَهَمُ الضَّوءَ بالظلمة

أَتَّهَمُ الجمال بالقبح
 أَتَّهَمُ الحياة بالموت.
 صدق ابنُ خلدونَ

تراثُ المواسِمِ حتفُها
 والظالمون،
 سيُظلمون،
 ويُظلمون،
 ويُظلمون،
 ويُظلمون،
 ويُظلمون،
 ويُظلمون،
 ويُظلمون.

فإذا الكلامُ زيدٌ
 وإذا البلادُ بددٌ.

لم أعرفها...
 لكني لم أنسَ أنينَ الطمي المشقوقِ
 على ساحلها العطشانِ،
 أشار إليَّ
 وقاد يديَّ.

العرباتُ الأولى تتدافع بين الأنتقاضِ
 وبين هياكل من بشر تمضي صوب الكرخِ.
 الفجر البغداديُّ الأروعُ طير مخنوقٌ بدخانِ الحربِ.

إلى أين...؟ فلا تاريخ
 ولا ذكرى
 ولا مبنى
 لا مقهى...

لا أبرىءُ أحداً...

تداخل اللون × التراب
والصوت × السخام
والكلام × الدماء

الكل باطلٌ...

من يدعي عزلة الكاهنِ
أو غربة النبيِّ.

الكل باطلٌ...

من يمسك زمام الريح
أو من دعكته العاصفة،
من ركب الجنون إلى الخراب
أو من ركب الخراب إلى الجنون.